الرؤيا التشكيلية في شعر بدر شاكر السياب

م م هند مهدي صالم

جامعة تكريت / كلية التربية

مشكلة البحث

إننا عندما نتحدث عن القصيدة فإننا نتحدث عن فارق زمني ما بين القصيدة والرسم . انه [١]" بؤرة التقاء كل من البعدين الزماني والمكاني للوجود الإنساني "وسبب وجود تخلف في ظاهرة الشعر المرئي عن معناه التشكيلي البحت كأن يصبح معنى الرؤيا مجرد ظاهرة مكانية بحتة حيث تستحيل المفردات (المقروءة او المسموعة على السواء كرموز مجردة من العلامات الصوتية)إلى وسائل تحقيق الحضور الشيئي للعالم في الوجود الشعري نفسه , ومن هنا فان ما يراد بالشعر المرئي سيقتصر على الوعي المكاني في فن الشعر وهذا ما تحدده علاقة هذا الفن الإنساني بالبيئة ومن اجل إيجاد نقطة للالتقاء ما بين عالم الرؤيا التشكيلية المكانية ومناخها الرمزي عبر اللغة الشعرية في محاولة الطبيعة التصويرية في بعض الاتجاهات لدينا ,ليس من حيث وظيفة العمل الفني بل بنيته ولا من حيث المعطيات التصويرية لدى الشاعر بل مثوله التصويري في الشعر , ولأننا لا يمكننا الاستعانة بالمفردات الشعرية الغربية ؛لأن تراثنا العراقي غني بهذه المعطيات وغني بالرؤى التصويرية للبيئة العراقية ؛ لذا اختارت الباحثة قصيدة (أنشودة المطر) ؛ وهي من النصوص التي تمتاز بالطول مقارنة مع قصائد السياب الأخرى

أهمية البحث

تبرز أهمية البحث الحالي فيما يأتي :

١- إظهار الجانب التشكيلي (الرسم) في المفردات الشعرية لشعر بدر شاكر السياب.

٢- إمكانية التعبير عن لغة الشعر بلغة اللوحة التشكيلية.

أهداف البحث

الكشف عن الجوانب التشكيلية في شعر بدر شاكر السياب.

تحليل المفردات اللغوية إلى مفردات تشكيلية (رسم)

حدود البحث

-قصيدة المطر للسياب من ديوانه أنشودة المطر.

تحديد المصطلحات:

*** - الرؤيا**

هي معاني تتخطى معنى الحلم حتى بإضافاته المجازية فهي الرؤيا بالعين والقلب والعقل معا زائدا الحلم , زائدا التطلع الإنساني الأرحب الذي اقترن في ذهن البشرية بتوق الأنبياء والفلاسفة والشعراء ,ذلك ألما ورائي الذي يبدو صورة لا يعللها المنطق بالضرورة ولكنها تكتظ بالرموز لما هو في الصلب من الكينونة واندفاعاتها [٢].

أو انطباق واستشراف مستقبلي دائم التجدد والتوسع والانفتاح ولا يتوقف عند حدود تشكيلية معينة [٣].

*** -الفن التشكيلي**

هي"حالة موجودة بكل شئ نعمله ونمتع به حواسنا وهو شكل لأحد الأعمال الفنية يقوم بها الفنان للتعبير عن فكرة معينة في داخله"[٤]

او "تعبير جمالي عن معاناة إنسانية,تسارع الى التبسط في مضمون المعاناة وفي الشكل الجمالي من خلال ارتباطها بالمجتمع والطبيعة . وعبقرية الفنان تكمن في انتقاء ما يلائمه منها للتعبير الجميل عن معاناته"[٥] .

نبذة عن حياة الشاعر بدر شاكر السياب

هو شاعر عراقي ولد في قرية صغيرة تدعى (جيكور) قريبة من البصرة عام ١٩٢٦ ,وكان أبوه يعمل مزارعا للنخيل وقد عاش طفولته سعيدا حتى عام ١٩٣٢ أي في السادسة من عمره حيث توفيت والدته وهي تضع مولودا وبقي بدر وأخويه تحت رعاية جدهم لان والدهم تزوج من امرأة أخرى وتركهم.إنّ الحرمان الذي عاش فيه هذا الشاعر ولد في نفسه نقمة على الدهر ولازمه ذلك طوال حياته.وبعد ان أكمل السياب دراسته الثانوية في البصرة التحق بدار المعلمين عام(١٩٤٣-١٩٤٤) حيث درس في قسم الأدب العربي في العامين الأوليين ثم انتقل الى دراسة اللغة الانكليزية في العام الثالث حتى عام ١٩٤٩ حيث تخرج من المعهد ,تميزت حياته بالشقاء وعدم الاستقرار على الصعيدين الصحي والنفسي بالإضافة الى يتمه حيث انه كان دميم المنظر قصير القامة وقد تزوج زواجا تقليديا.ونتيجة لمواقفه السياسية ونشاطه الحزبي لم يعمل سوى ثلاثة أشهر في التدريس ثم عمل في الصحافة وقد كان مصابا بالسل وهذا ادى الى إصابته بصدمات نفسية شديدة وباضطراب عصبي في العمود الفقري ,وقد سافر كثيرا للعلاج الى باريس ولندن ونفي الى الكويت الى ان توفي في إحدى مستشفياتها في ٢٤ كانون الاول عام ١٩٦٤ [٦].

أنشودة المطر(من ديوان أنشودة المطر)

تمتاز هذه القصيدة بإنها من القصائد الطوال . "اننا ننظر الى اعتمادها على فاتحة مسترسلة، والتي تتشابه مع قصيدة (غريب على الخليج) والتي تمثل الازدواجية ؛التي تعتبر القاعدة الأساس لهذه القصيدة .كما انها تمثل الإحساس بالغربة والشوق العارم في العودة الى الوطن (العراق) من خلال تصويره للجو الماطر ، وهذا ما يسمى (بازدواج التطابق) من حيث صلة حياة مستمرة وليست عودة فردية محتومة بظروف عابرة. ان هذه القصيدة تعتمد على السر البدائي الكامن في اللفظة المتكررة وهي التعويذة التي يرددها الساحر القديم كما في (افتح يا سمسم) حتى تنفتح على وقع مغيبات النفس مثلما كلمة (مطر)"[٧].ان هذه الكلمة ملازمة لكلمة (العراق) فقوله هنا (مطر) كانه يقول (عراق) ويحلم بان المطر قد حمله الى العراق ليشاهد المزا ريب كيف تنشج والأزمة والحارات القديمة، وتمنى لو ان الزمان قد أعاده الى امه التي لم يشاهدها ، وهي موسيقى تصويرية تشكيلية لهذه القصيدة بقوله

مطر....

مطر.....

تثاءب المساء،والغيوم ما تزال

تسح ما تسح من دموعها الثقال

كأن طفلا بات يهذي قبل ان ينام

بأن امه التي افاق منذ عام

فلم يجدها ,ثمَّ حين لجَّ في السؤال

قالوا له : ((بعد غد تعود..)) [٨]

فاذا بالصور تعود به الى الماضي حيث وجه الأم والنخيل وحكاية العمة وإذا بالشوق: "شوق الجنين اذا اشرأب من الظلام الى الولادة " ان رجوع الشاعر في هذه القصيدة هو ليس هربا من الماضي بل وصل الماضي بالحاضر ووصول الذات الى المجموع , ووصول الفرد الى المجتمع حتى ينتج عن ضروب هذا الوصل وحدة عامة تستشرق المستقبل في ثقة الإنسان المطمئن الى المصير الإنساني[٩] .

الجانب التصويري في الشعر

ان صلات الأدب بالفنون الجميلة متعددة الأشكال والتعقيد , فالشعر يستنزل الوحي احيانا من الرسم او النحت الموسيقى .وقد تغدو الأعمال الفنية الأخرى وموضوعات الشعر،شأنها شأن الأشخاص وموضوعات الطبيعة . ولا يثير أي مشكلة نظرية خاصة كون الشعراء قد وضعوا تماثيلا او رسوما أوحتى موسيقى... لقد حاول الأدب أحيانا بشكل محدد ان يبلغ الى تأثيرات الرسم - ان يمسي رسما بالكلمات - ومن المحتمل ان يبالغ المرء في كمية التخيل الصوري في قراءة الشعر فقد مرت عصور ووجد الشعراء حوار القارئ يتخيل الصورة ببصره فعلا....ان الأدب الحديث أعطانا وصفا يبلغ من التعدد انه على الأقل يوحي بتأثيرات الرسم ويحفزنا الى التصور البصري للمشاهد بتعبيرات تستدعي غالبا الى الذهن الرسوم الحديثة "[١٠].كما ان الإدراك الحسي وعملية تحوله الى الواقع تأتي من خلال إيماءات معينة تظهر للعين ثم تفرز داخل الدماغ على شكل صور أخرى , كما في الصخرة المتواجدة في احد الكهوف والتي قد تظهر للإنسان الاعتيادي على انها مجرد صخرة لكن عين الفنان ربما تتصورها شئ او أشياء أخرى ومن المتوقع ان يكون الفنان والشاعر اكثر وعيا ولكن في الواقع فان ذي عقل سليم يتحسسه ويعيش فيه ورسوم الكهوف تشهد على عقلنا السليم المشترك , عقل الإنسان الباليوليشي وعقولنا نحن. ان العناصر المحفزة للذهن كبقع الحبر والصخور والنبوءات المتواجدة في جدران الحائط وحركة الموج يجب ان تكون في المحيط القابل للاستيعاب التي يحتمل ان تسجل جاهزة أمام الشبكية بوصفها طاقات محفزة وفي المرحلة التالية يتم تكوين الصورة المستوعبة ،تكون بعض عناصر الشيء المطلق قد رشحت متبددة وتم الحفاظ على بعضها الآخر في عملية بنائية –انتقائية ،تقع الى حد كبير تحت سيطرة صورة الذاكرة.وفي السياق الحاضر فان صور الذاكرة لكل من الرموز السابقة تقوم لتندمج مع الصورة المستوعبة كما يقابلها من أشياء مطلقة من اجل ان تشكل حقل المتعرجات الذي يبدو انه حاضر أمام الحواس حضورا موضوعيا وعلى نحو يكون آنيا يحدث ما يسمى بـ (الإدراك الحسي التحولي)، وهي الخطوة اللاحقة بكل وضوح[١١] .

هناك مجموعة من الصور التي قد تكون متناقضة او عديمة الفائدة حاضرة أمام أحاسيس الفنان , الا انه يختار منها ما يناسبه من مفردات ويرفض الباقي.ان عملية الإبداع تحدث عندما يتم تحويل الشيء المستوعب الى جزئيات ومن الشكل المتحول الى متفرقة ومنفصلة, تصبح مخيلة الفنان مستعدة للانتقال الى الخطوة الأخرى , اذ ان جزئيات الشكل تتجرد من الشيء المستوعب , ولابد لها ان تجتمع ثانية مع عناصر أخرى من صور الذاكرة من اجل تكوين الصورة الفنية[١٢]

ان هذه العملية الإبداعية تنطبق على كلا الفنين,حتى ان بعض الشعراء كانوا يذهبون الى المتاحف كي يستمدوا أفكارهم من لوحات الفنانين كما كان ارنست همنغواي يفعل حيث كان يذهب كل يوم الى متحف اللوكسمبورغ لدراسة اللوحات

المعروضة هناك وخاصة لوحات سيزان . أما متعة الثاني فتحدث في الاندماج ما بين الفنيين والتي تسمى (التجمع المتناغم) اللفظي والبصري, تحدث عملية الاستعارة كاستعارة اللفظ في الشعر واستعارة الصورة في الرسم ,يقول فروست بان (التعليم عن طريق الشعر هو تعليم عن طريق الاستعارة , فان الاستعارة تكون موشور العقل) , اما الموشور في حالة اللوحة يمكن مشاهدته كما في لوحة ماتيس المسماة (تبغ رويال -١٩٤٣) او لوحة بيكاسو المسماة (حلوتي) من خلال قراءة العلاقات ما بين شخوص اللوحة والعلاقات المتداخلة للأشياء المتجاورة المختلفة والتتابع الزمني كما في لوحة (مانتين)(انظر ملحق ١)والتي تظهر فيها المرأة الجالسة وعازف العود الغائب أمام الوصلة الموسيقية التي بدأت بعد ان انقطعت هي تشير الى نفس الدلالات في قصيدة الشاعر (بو) المسماة (اسرافيل) مستعيرا إياها من القران الكريم

(في السماء روح يسكن أوتار قلبه تكون عودا)[١٣]

"ان الاستعارة ليست قوة واحدة او أداة نقل واحدة ،والأجدر إنها مسالة أداتين للنقل كل منهما تساهم بجزء من نفسها وهو جزء يشترك مع الجزء المقابل للأداة الأخرى لتكوين الفحوى .ان فائدة هذا المصطلح العلمي (فحوى أداة النقل)هو انه بكل دقة يقارع أي علاقة للمعنى الملائم ,وكل دعوة لنظرية غير نصية للأفكار,لكنه وفوق كل شئ يقارع أي شيء مستعار من فكرة الصورة العقلية" [١٤] كما يتم نقل المستوى الحسي الى المستوى اللاحسي أي الى مملكة الفكر. ثم يأتي الاستخدام الاستعاري لتعبيرات مثل القبض عن طريق النظر- النظر-السمع.ان الاستعارة لدى الشاعر هي استعارة لفظية وللرسام هي صورية كصورة المرأة والزهور وغيرها.. مع اعتمادها على تخيل الزمان والمكان وبعض العناصر الأخرى وهذا ما يسمى متعة الثنائي[١٥]

الرؤيا في الفن (الرسم والشعر)

ان الفنان الذي يبحث عن الوسائل التشكيلية ليعبر عن الأشياء المهمة لديه لا يستطيع ان يلجا الى الأشكال والرموز والتركيبات التعبيرية نفسها التي استنفذت معناها وفقدت سحرها بسبب شيوعها المفرط واستعمالاتها المتكررة, لذا عليه البحث عن تركيبات جديدة للمفردات التشكيلية تمتلك تأثيرا مباشرا جديدا ... شرط ان لا يكون عمله مبهما وعصيا على الفهم ... صحيح انه امتداد للتقليد الفني الذي سبقه لكن عليه ان يطور هذا التقليد بدماء جديدة،او بتطعيمه بعناصر حيوية بدلا من التمسك بالأساليب التي فقدت قدرتها على الإيصال..ان الشكل الفني المتميز الذي يبدو انه يشير الى أوجه معينة من الحقيقة دون ان يمثلها بوضوح في صيغة رمزية مفهومة يملك لذة الاحتمال في اكتشافه وهو يتيح المجال للاستجابة المعبرة الذاتية , وربما تكون الحقيقة غير سارة لكن المسرة تستقر من خوض التجربة لاكتشاف المعنى ايا كان [١٦]

ولم تقتصر رؤيا الحداثة والاستعانة بمفردات جديدة ومؤثرة على الرسم بل شملت فن الشعر أيضا الذي ذهب إلى الانفتاح في القصيدة من حيث الشكل والمضمون الذي ينهض بذوق المتلقي ويرتفع به الى مناطق جمالية طرية وظريفة ومباغتة تضج بسحر غير قابل للنفاذ , فيكبر وعيه نحو استثمار قدرات العقل على نحو اكبر وأفضل وأكثر جذبا ومتعة , وعلى هذا الأساس يخرج النشاط الشعري من إطار إشباع الحاجة , فليس هو تمرينا جماليا مجردا , إنما هو فعل خلاق خصب يلد قدرة لا متناهية على الإبداع والخلق واستمرارية الانجاز , ومتى توقف النص عند حد معين يصبح آنذاك عقيما ما يلبث ان يموت [١٧].

نتائج البحث

توصل البحث الى:
١- الكشف عن الجوانب التشكيلية في شعر بدر شاكر السياب .
٢- تحليل المفردات اللغوية الى مفردات تشكيلية (رسم).

وقد تمخضت نتائج الهدف الأول بخصوص الجانب التشكيلي لشعر بدر شاكر السياب ومن خلال ما تقدم من تحليل للجوانب التشكيلية (الرسم) وعلاقته بالشعر الحر ,توصلت الباحثة الى :-
ان النص في قصيدة مطر من ديوان أنشودة المطر والتي بدأت كالأتي:

عَيْنَاكِ غَابَتَا نَخِيلٍ سَاعَةَ السَّحَرْ ،

أو شُرْفَتَانِ رَاحَ يَنْأى عَنْهُمَا القَمَرْ .

عَيْنَاكِ حِينَ تَبْسُمَانِ تُورِقُ الكُرُومْ

وَتَرْقُصُ الأَضْوَاءُ ...كَالأَقْمَارِ في نَهَرْ

يَرُجُّهُ المِجْدَافُ وَهْنَاً سَاعَةَ السَّحَرْ

كَأَنَّمَا تَنْبُضُ في غَوْرَيْهِمَا ، النُّجُومْ ... [١٨]

استخدم السياب مجموعة الألوان لتخيل المرأة...الوطن...الأرض, فعيناها غابتا نخيل وهي أكثر أنواع الشجر وجودا في ارض العراق,والأرض ترمز للوطن والأم والخصوبة أي انها أصبحت رمزية لأنها تحمل دلالات فكرية متعددة وتجسدها في صورة حسية غنية بالأبعاد المعنوية والفكرية بالإضافة الى استخدامها اللون والذي خلق فضاءا شعريا مختلفا تلون النخيل (الأخضر) الذي يتحول الى اخضر

مائل للسواد في وقت الغروب (ساعة السحر) ولون الشرفات القهوائي الذي ينعكس في الماء فيعطي لونا ازرقا غامقا وانعكاس الأضواء الصفراء في الماء في تلك اللحظة...ان الفضاء الموجود داخل النص تؤلف فيه مرايا للون لغتها الخاصة , وهي تخاطب العواطف والنفس , لان اللغة العربية تحفل بتعبيرات ملونة ربما تتعلق برد فعل فسيولوجي او نفسي لدى الإنسان ,ويشرع اللون في الاستخدام الشعري بخلق سيولته الفنية والدلالية والرمزية في نسيج النص ولكل مرآة من مرايا اللون مهمتها الخاصة .ففي الوقت الذي تقوم فيه مرايا الألوان القاتمة مثلا بتضييق مساحة تأثير فعلها اللوني فان مرايا الألوان الفاتحة بطبيعتها ومرونتها تزيد من مساحة تأثير فعلها اللوني وفي الوقت الذي تتباعد فيه القيم وتتخصص الأشكال(في القرب) فانها (في البعد) تضمحل الأشكال وتتقارب القيم وتصبح انعكاسات الألوان باردة.

تذهب الألوان لتأخذ استقرارها لتعود الى دور العناصر والرموز التشكيلية (العين , النخيل,الشرفة,الأضواء , القارب)كل هذه المفردات تأتي متكاملة لتشكل لوحة فنية.لوحة الفنان هاني مهر الدين (انظر ملحق ٢)

اما المقطع:-

وَتَغْرَقَانِ في ضَبَابٍ مِنْ أسَىً شَفِيفْ

كَالبَحْرِ سَرَّحَ اليَدَيْنِ فَوْقَهُ المَسَاء ،

دِفءُ الشِّتَاءِ فِيهِ وَارْتِعَاشَةُ الخَرِيف ،

وَالمَوْتُ ، وَالميلادُ ، والظلامُ ، وَالضِّيَاء ؛

فَتَسْتَفِيق مِلء رُوحِي ، رَعْشَةُ البُكَاء

كنشوةِ الطفلِ إذا خَافَ مِنَ القَمَر ![١٩]

انتقل الشاعر من تصوير علاقته بالأرض وألام ليأخذنا الى عالم الأضداد ,الموت(نهاية الحياة) والميلاد(بداية الحياة),الظلام(اللون الأسود), الضياء (اللون الأبيض) وكل الألوان المبهرجة والفرحة..وحتى المقطع "تغرقان في ضباب من أسى شفيف ...لقد أعطى للحزن معنى جميل برغم مرارته فانه رقيق ورائع وبكل تناقضاتها وتصوراتها وجمالياتها فتخيل صورة الأمواج وهي ترتطم بالصخور مما يعطي حزنا عميقا ولا سيما في نفس الفنان والنظر الى الأشياء الجميلة كيف تتحول الى أمواج متلاطمة زرقاء وبيضاء وربما ذات لون رمادي في جو عاصف ملئ بالسواد لان الضباب يحول السماء الى لون قاتم على الرغم من وجود الضياء وهو لون الشمس من بعيد مما يعطي الأمل بالشروق .وهذه الصورة تشبه في تكويناتها لوحة الفنان (ألبرت برستد)(انظر ملحق ٣) وقد رسمت بالألوان الزيتية تأتي بانفعالاتها وأمواجها وانكسار سارية السفينة مطابقة لرؤيا الشاعر التكوينية وبالشعور بالنشوة التي تعانق السماء لكن يبقى القمر مختفيا في الدوحة بسبب

الضباب والعواصف ، لكن شعور الطفل بالخوف ما زال موجودا ؛لاننا في داخلنا كلنا أطفال ساعة الخوف وهذا في تكوينه يشبه المقاطع التالية عندما يقول:

كَأنَّ أقْوَاسَ السَّحَابِ تَشْرَبُ الغُيُومْ

وَقَطْرَةً فَقَطْرَةً تَذُوبُ في المَطَر ...

وَكَرْكَرَ الأَطْفَالُ في عَرَائِشِ الكُرُوم ،

وَدَغْدَغَتْ صَمْتَ العَصَافِيرِ عَلَى الشَّجَر

أُنْشُودَةُ المَطَر ...

مَطَر ...

مَطَر...

مَطَر...

تَثَاءَبَ الْمَسَاءُ ، وَالغُيُومُ مَا تَزَال

تَسِحُّ مَا تَسِحّ من دُمُوعِهَا الثَّقَالْ .[٢٠]

ان استمرار الأمطار والعواصف والحزن العميق الذي سببه المطر هو إحساس الشاعر بالغربة والمرض وانعدام الرؤيا لديه لشوقه ولهفته للوطن ما تزال تقدم نفس الصورة التي جسدها (ألبرت برستد) في لوحته (ينظر ملحق رقم ٤) .من المؤكد ان الفوارق في حركة الموج وارتطامها بالصخور والجو الماطر الغائم المفعم بالكآبة والسواد والأشرعة المتكسرة ، ثم ينتقل الشاعر الى وصول هذه المشاعر بصورة أخرى فيها اليأس وقليلا من الأمل المبهم (بعد غد تعود)ثم قوله (لا بد ان تعود) هذه الصور التي أعادت للشاعر صورة الأم التي رحلت وهو طفل صغير وصورة الوطن الضائع ، والشوق الى القرية والطبيعة .

كَأنَّ طِفْلاً بَاتَ يَهْذِي قَبْلَ أنْ يَنَام :

بِأنَّ أمَّـهُ - التي أفَاقَ مُنْذُ عَامْ

فَلَمْ يَجِدْهَا ، ثُمَّ حِينَ لَجَّ في السُّؤَال

قَالوا لَهُ : " بَعْدَ غَدٍ تَعُودْ .. " -

لا بدَّ أنْ تَعُودْ

وَإنْ تَهَامَسَ الرِّفَاقُ أنَّـها هُنَاكْ

في جَانِبِ التَّلِّ تَنَامُ نَوْمَةَ اللُّحُودْ

تَسفُّ مِنْ تُرَابِـهَا وَتَشْرَبُ المَطَر ؛

كَأنَّ صَيَّادَاً حَزِينَاً يَجْمَعُ الشِّبَاك

وَيَنْثُرُ الغِنَاءَ حَيْثُ يَأفلُ القَمَرْ .

مَطَر ...

مَطَر ...[٢١]

ان مقـاطع هـذه القـصيدة تعطـي فـي تـصوراتها ومـدلولاتها كلوحـة الرسـام الروسي (كي كولتز)(انظر الملحق ٥) وهي (الى ذكريات كـارل بيتش) والتـي تـشابه المقـاطع الـسابقة مـن القـصيدة حيـث الـشخص الميـت ملقنـين حولـه عـدد مـن الوجـوه البائـسة وتتهـامس بحـزن وتنظـر اليـه نظـرة الـذي لـن يعـود ونظـرة الأم التـي تحمـل وليدها تتمنى ان يعود وهو لن يعود.. مرتدين السواد والنظرات المتجهمة التي تدل على خوار القوى والحزن واليأس العميق والشخص الذي يقف على صدر الميت يصلي عليه والشخص الذي يقف على يمين اللوحة ينظر الى الأعلى كأنه يلعن القدر..وجوه متكررة وحزينة ، انها صورة متطابقة لمقطع:

وَإنْ تَهَامَسَ الرِّفَاقُ أنَّـها هُنَاكْ

في جَانِبِ التَّلِّ تَنَامُ نَوْمَةَ اللُّحُودْ

تَسفُّ مِنْ تُرَابِـهَا وَتَشْرَبُ المَطَر ؛[٢٢]

ثم تأتي المقاطع الأخرى لا تختلف في حزنها وفكرتها عن المقاطع السابقة سوى في استخدام المفردات فقط كما في :-

أتعلمينَ أيَّ حُزْنٍ يبعثُ المَطَر ؟

وَكَيْفَ تَنْشج المزاريبُ إذا انْهَمَر ؟

وكيفَ يَشْعُرُ الوَحِيدُ فِيهِ بِالضّيَاع ؟

بِلا انْتِهَاءٍ - كَالدَّمِ المُرَاق ، كَالْحِياع ،

كَالْحُبِّ ، كَالأَطْفَالِ ، كَالْمَوْتَى - هُوَ الْمَطَر ! [٢٣]

لن يتخلى الشاعر عن حزنه العميق في كل المقاطع من البداية الى النهاية وقد أعلن عنه بقوله (أتعلمين أي حزن يبعث المطر ...) على الرغم من ان المطر هو الخير والحياة والعشب والاخضرار والخصب الا انه يعطي صورة هي الظلام والخوف والألم انها قوة التضاد في التصوير وفي المفردات (الدم الجياع الموتى) و (الحب ، الأطفال ، المطر) صورتان متناقضتان ومتباعدتان كل البعد عن بعضهما لكنهما مجتمعتان في نفس وروح الشاعر المليء بالأوجاع والشوق والجوع والحب للعراق ولمدينته وللذكريات (وكيف سعر الوجد فيه للضياع) وهذا مايشبه لوحة (امرأة نائمة) لفيرمير بتمثيلها بامرأة وحيدة في حالة اكتئاب ووحدة وفي حالة انتظار وترقب في دخول شخص ما من خلف الباب شبه نائمة على المنضدة وقد بدت في حالة اكتئاب ووحدة وفي حالة انتظار وترقب لكن اليأس قد طغى على كل اللوحة من شكل المرأة الجالسة (لوحة لفيرمير) او كالمرأة المضجوعة الواقعة في وسط مساحة شاسعة من الأرض التي هبت فوقها الرياح وحملت كل شيء بعيد وهي في انتظار وقد سيطر الخوف والرعب على ملامحها وحيدة تائهة لا تدري ماذا تفعل (لوحة من رسم الباحثة)(انظر الملحق ٥).
كحالة الضياع والشعور بالوحدة ،اما مقاطع القصيدة الأخرى :

وَمُقْلَتَاكِ بِي تُطِيفَانِ مَعَ الْمَطَر

وَعَبْرَ أَمْوَاجِ الخَلِيجِ تَمْسَحُ البُرُوقْ

انتقالا الى :

أَكَادُ أَسْمَعُ العِرَاقَ يذْخرُ الرعودْ

ويخزن البروق في السهولِ والجبالْ ،[٢٤]

الى نهاية القصيدة

نلاحظ وجود مفردات تشكيلية كالسهول والجبال والنخيل والمطر القرى الرحى الماء كلها تعطي صورا تشكيلية وعلى الرغم من وجود بعض العناصر كالماء والرعد والإمطار الغزيرة في لوحة الفنان (ألبرت برستد)(ينظر الملحق ٦) التي تمثل الأمواج العاتية والرياح والسماء الملبدة بالغيوم السوداء وانكسار سارية السفينة وتحطمها في حين توجد سفن أخرى من الغيب لا تدري ان كانت ستنجو ام لا من العواصف وهذا ما يشبه حال العراق من وجهة نظر الشاعر :
أكاد اسمع العراق
والمقطع "ما مر عام والعراق ليس فيه جوع "حيث إننا يمكن ان نصور هذه الجزيرة غير المأهولة بالسكان كالوحيد الجائع التائه..

ثم الانتقال الى المقطع :

مطر ...
مطر ...
مطر ...
سيعشب العراق بالمطر[٢٥]

بالتأكيد ان المطر يضفي حياة على المناطق الجرداء لينمو عشبا وهذا ما نشاهده في لوحة (ألبرت برستد) حيث توجد مجموعة من الأعشاب الخضراء قد نمت فوق الصخور من شدة المطر على الرغم من حفرها إلا إنها أعطت أملا للوجه بان النباتات سوف تنمو وتكبر ولا بد ان يأتي الربيع بعد المطر .

مناقشة نتائج البحث

١ ـ استخدام الشاعر لمفردات تشكيلية منذ بدء القصيدة وحتى انتهاءها وهذا ما أكدته كثير من اللوحات كلوحة البحر الأزرق ولوحة امرأة ولوحة (كي كولتر) ذكريات كرل ولوحة ألبرت برستد.

٢ ـ استطاعت الباحثة ان تقوم برسم مجموعة من اللوحات التي تعبر عن بعض مقاطع القصيدة وهذا ما يدل على ان فكرة الشاعر تدعو الى عمل تشكيلي وليس لغوي فقط.

المقترحات

تقترح الباحثة إجراء الدراسات الآتية:-

١-تقديم أعمال مشتركة ما بين (النحت او الموسيقى) وأعمال أدبية كالقصة والرواية

٢-التوجه نحو الجانب التشكيلي في الأعمال الأدبية المختلفة.

المصادر

١-وزارة الثقافة والإعلام(١٩٧٤),الشعر والفنون,جمهورية العراق ، ص ٦٧

٢- أبو صبيح ,جميل(١٩٩٨),الأمطار,المؤسسة العربية للدراسات والنشر,بيروت,ط٢. ص ٣٥

٣-عبيد, محمد صابر(٢٠٠٥),رؤيا الحداثة الشعرية,منشورات أمانة عمان الكبرى,عمان. ص ١٤

٤- ريد,هرسرت,تربية الذوق الفني, ترجمة يوسف ميخائيل ص ٣١-٣٣

٥- عاصي, ميشال(١٩٨٠),الفن والأدب,مؤسسة نوفل,ط٣,بيروت.ص ٣٩

٦ عوض,ريتا(١٩٨٧), بدر شاكر السياب, المؤسسة العربية للدراسات والنشر,بغداد,ط٣ ، ص ١٣

٧- إحسان ,عباس(١٩٦٩), بدر شاكر السياب,دراسة عن حياته وشعره,دار الثقافة ,لبنان,بيروت ، ص ٢٠٦

٨- علوش ، ناجي (٢٠٠٣) بدرشاكر السياب ، الأعمال الشعرية الكاملة ،مج ٢ ، ص ٢٥٦
٩- ألمطلبي,مالك(١٩٨٩) بدر شاكر السياب ,الشاعر, دار الثقافة والإعلام,بغداد,ط١، ص ٢٠
١٠- رينيه ,ميليك ,روستن وارين(١٩٨١),نظرية الادب ,ترجمة محي الدين صبحي ,المؤسسة العربية للدراسات,بيروت,ط٢ ، ص ١٣٣
١١- روجرز,فرانكلين(١٩٩٠),الشعر والرسم,دار المأمون للنشر، ص ٢٦
١٢- المصدر السابق
١٣- غاستون باشلار(١٩٤٨)، الأرض وأحلام اليقظة، باريس. ص ١٧٣
١٤- روجرز,فرانكلين(١٩٩٠),الشعر والرسم,دار المأمون للنشر، ص ٢٦٠
١٥ - ناثان,نوبلر(١٩٨٧) ,طور الرؤية ,ترجمة فخري خليل ، دار المأمون للطباعة,بغداد. ص ٢٣٧
١٦ – عبيد, محمد صابر(٢٠٠٥),رؤيا الحداثة الشعرية,منشورات أمانة عمان الكبرى,عمان. ص ١٧
١٧- عبيد, محمد صابر(٢٠٠٦),مرايا التخيل الشعري,جدار الكتاب العالمي ,عمان. ص ٢٢٤
١٨- علوش ، ناجي (٢٠٠٣) بدرشاكر السياب ، الأعمال الشعرية الكاملة ،مج ٢ ، ص ٢٥٣
١٩- علوش ، ناجي (٢٠٠٣) بدرشاكر السياب ، الأعمال الشعرية الكاملة ،مج ٢ ، ص ٢٥٤
٢٠ – المصدر السابق
٢١ – المصدر السابق
٢٢- المصدر السابق
٢٣- المصدر السابق
٢٤- علوش ، ناجي (٢٠٠٣) بدرشاكر السياب ، الأعمال الشعرية الكاملة ،مج ٢ ، ص ٢٥٧
٢٥ – المصدر السابق

الملاحق

الملحق(١)

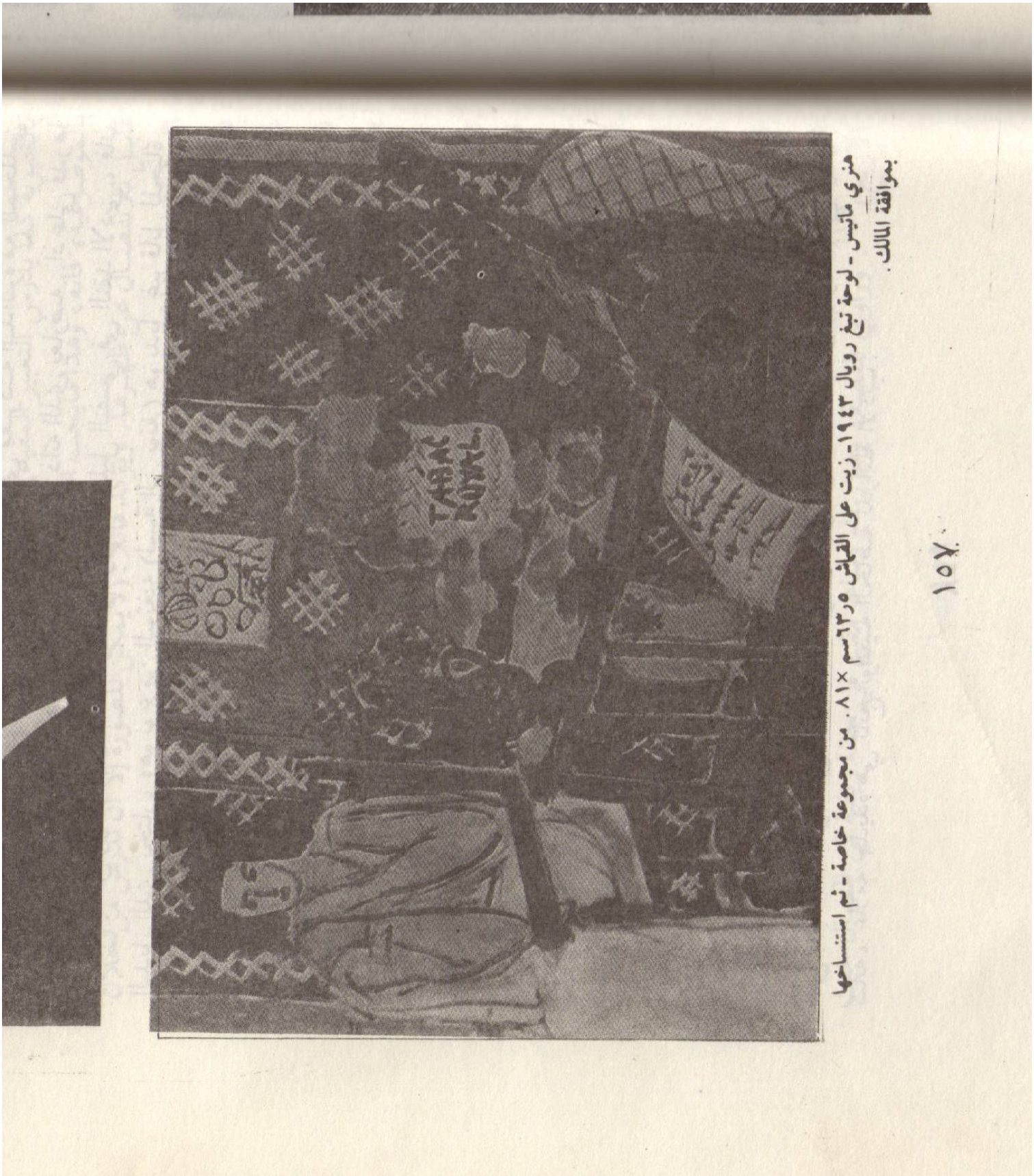

هنري ماتيس - لوحة تيغ رويال ١٩٤٣ - زيت على القماش ٦٣٫٥سم ×٨١. من مجموعة خاصة - تم استنساخها بموافقة المالك.

الملحق(٢)

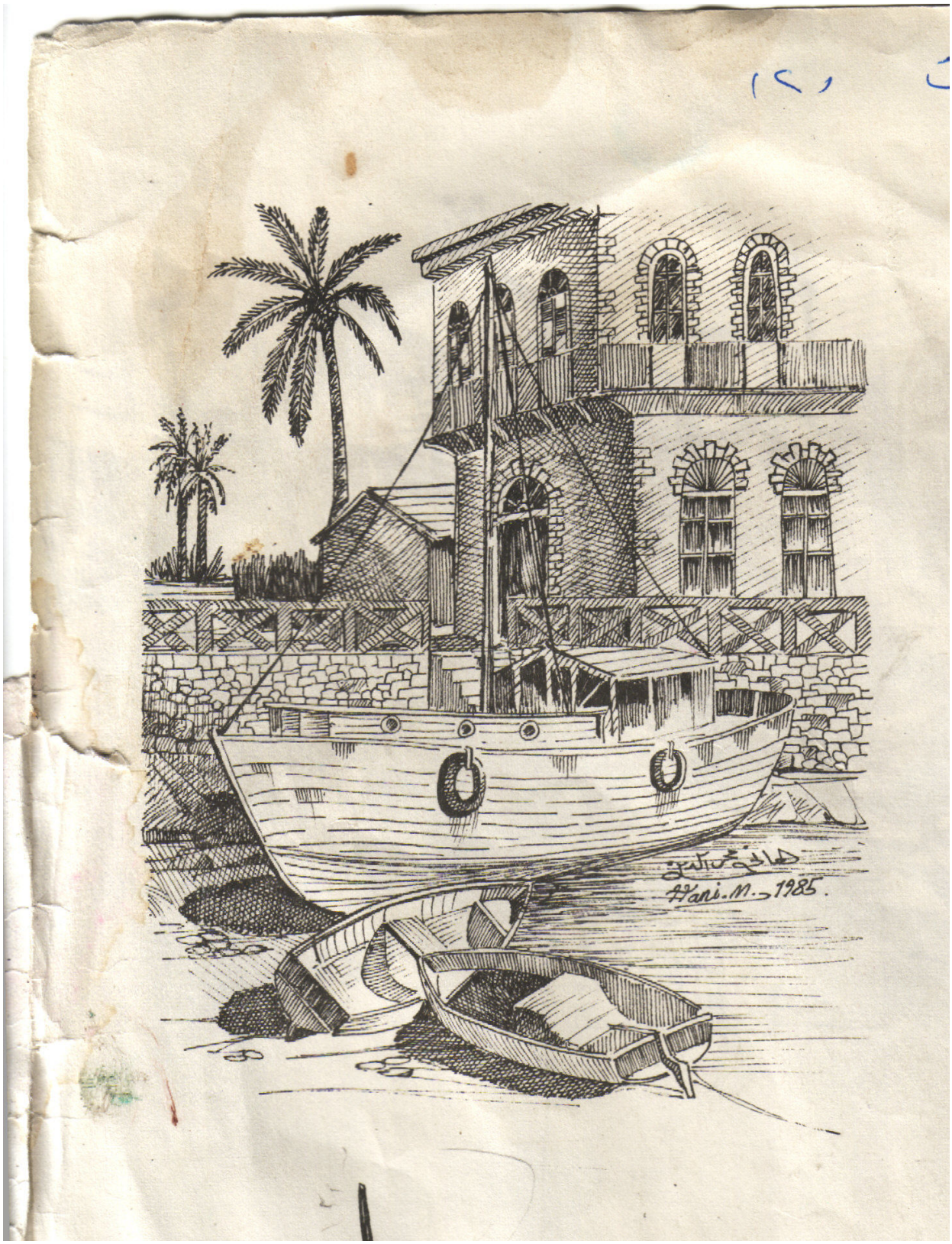

الملحق(٣)

الملحق(٤)

الملحق(٥)

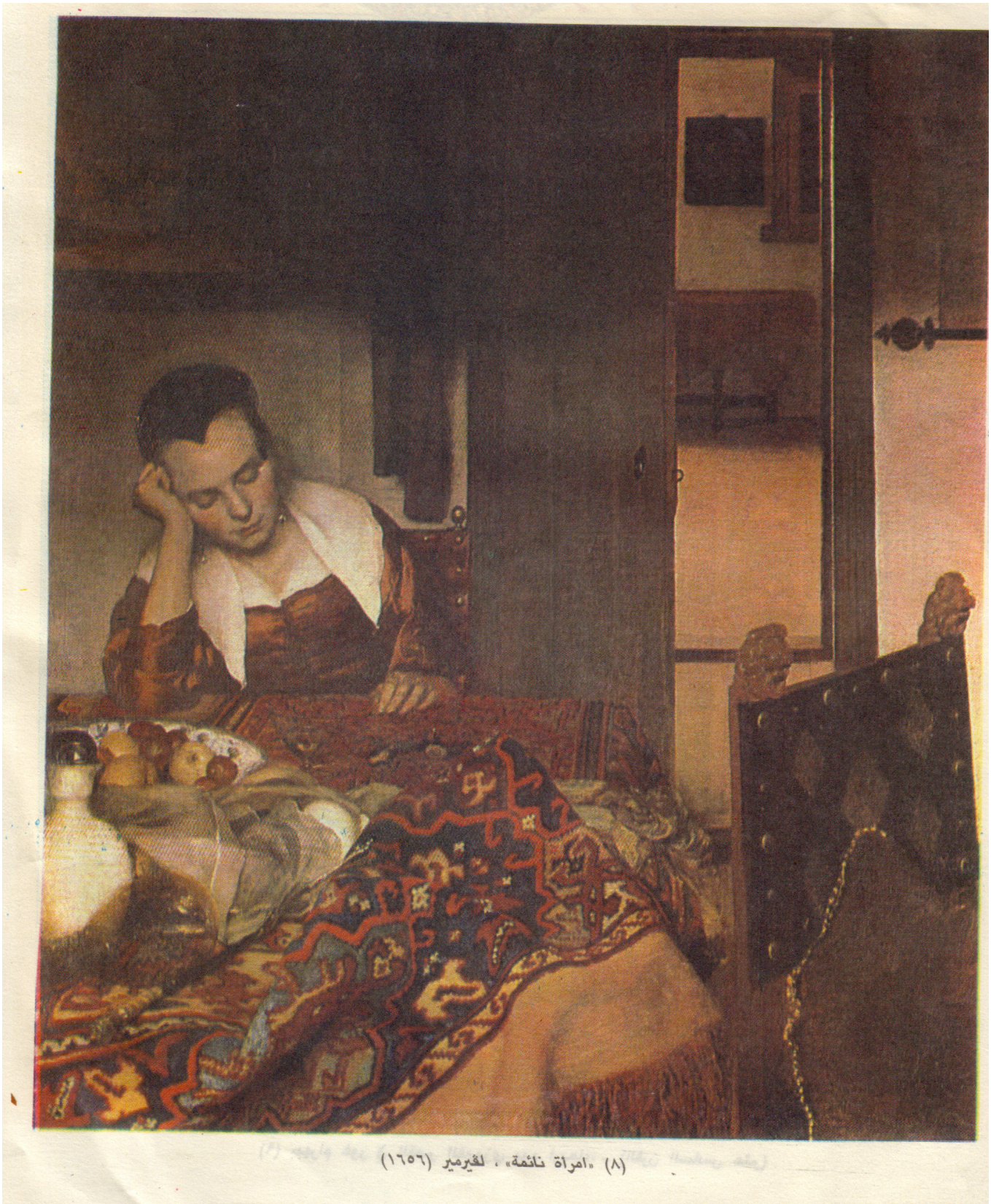

(٨) «امراة نائمة» ، لڤيرمير (١٦٥٦)